رينيه جروسيه

Rene Grousset

(١٨٨٥-١٩٥٢م)

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطي

كلية الآداب جامعة الشارقة

الملخص:

يعد المؤرخ الفرنسى البارز رينيه جروسيه، رائدًا فى دراسة تاريخ الحروب الصليبية. حيث أصدر عدة دراسات تناولت العلاقات بين الشرق والغرب خلال تلك الحقبة.

هذا البحث يسلط الضوء على رؤية للحرب العالمية فى العصور الوسطى وأعنى بها الحروب الصليبية.

Abstract:

Rene Grousset, the Outstanding French historian, has a leading role in the Studying of the crusades. He published his famous study histoire des crusades which consider corner stone for crusading history researchers.

This paper focuses on Rene **Grousset**s Vision towards the universal war in the Middle Ages which mean the crusades.

يتناول هذا البحث بالدراسة تعريفًا بالمؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه[١] وإسهامه في دراسة صلاح الدين الأيوبي.

ولد رينيه جروسيه في عام ١٨٨٥م، وشغل منصب أستاذ في مدرسة اللوفر عام ١٩٢٨م، ثم صار محافظًا لمتحف تشيرنوسكي Chernuschi في عام ١٩٣٣م، كذلك عمل مدرسًا لتاريخ الحضارات في المدرسة الوطنية للغات الشرقية عام ١٩٤١م، كما أصبح محافظًا عامًا لمتحف جيميت Guimet عام ١٩٤٤م، وصار عضوًا في الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٤٦م، مما دل على مكانته العلمية المتميزة.

يلاحظ أنه لم يزر الشرق كما أنه لم يتقن سوى اللغة الفرنسية.

أصدر ذلك المؤلفات مؤلفات تتمثل في التالي:

1- Histoire des croisades et du royaume de Jérusalem franque, 3 parties, i. Paris 1934-1936m.

- تاريخ الحروب الصليبية ومملكة بيت المقدس الفرنجية، ٣ أجزاء، ط. باريس ١٩٣٤-١٩٣٦م.

يعتبر أشهر كتاب بالفرنسية عن تاريخ الحروب الصليبية.

2- Histoire de l'Arménie des Origines 'à 1071, la bibliothèque historique, Paris 1947.

- تاريخ أرمينيا من أصولها الأولى حتى عام ١٠٧١م، المكتبة التاريخية، ط. باريس ١٩٤٧م.

٣- تاريخ آسيا.

٤- رصيد التاريخ.

٥- شخصيات تاريخية بارزة.

٦- تاريخ الفكر الفلسفي الهندي.

٧- إمبراطورية السهوب.

٨- تاريخ آسيا الشرقية منذ أقدم العصور حتى القرن السادس عشر.

٩- تاريخ الصين.

هكذا؛ يتضح لنا تعدد مؤلفاته واهتمامه الآسيوي الأصيل.

العمل الرئيس لرينيه جروسيه.

8- Histoire des croisades.

وقد صدر فيما بين عامي (١٩٣٤-١٩٣٦م) ووقع في (٣) مجلدات بلغت صفحاتها (٢٥٠٠) صفحة؛ فهو أكبر عمل موسوعي بالفرنسية عن تلك الحروب، ويقرر أحمد أيبش المؤرخ والمترجم السوري البارز، أن المؤرخ البريطاني سير ستيفن رنسيمان قال عنه:" قبيل الحرب العالمية الثانية، أصدر جروسيه كتابًا عن الحروب الصليبية في (٣) مجلدات وفقًا للتقليد الفرنسي، جمع جروسيه بين غزارة العلم وسلاسة الكتابة ووطنية الغاليين المعروفة ".

توفي ذلك المؤرخ الفرنسي البارز عام ١٩٥٢م عن عمر بلغ (٦٧)عامًا.

أشار المؤرخ الفرنسي المذكور إلى صلاح الدين الأيوبي خلال المرحلة التي تلت وفاة أسد الدين شيركوه، القائد العسكري الفذ، لنور الدين محمود، وفي ذلك قال: "توفي شيركوه [٢] في قمة انتصاراته (١١٦٩م)، ولكن ابن أخيه صلاح الدين الذي خلفه في قيادة جيشه ثبت أقدامه في مصر كحاكم مطلق، بجانب الخليفة الفاطمي،ثم في عام (١١٧١م) لم يتوان عن تنحية الفاطميين جانبًا، وانفرد بحكم مصر بشكل مباشر" [٣].

هكذا؛ أدرك قدرة صلاح الدين على أن يوطد أقدامه من بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه، ونجاحه في تحقيق أبرز نجاحات السياسة الخارجية النورية في صورة إسقاط حكم الفواطم من مصر.

من ناحية أخرى، كشف لنا جروسيه عن خطورة النتائج التي نتجت عن ذلك الحادث المحوري الذي قلب موازين القوى السياسية في المنطقة لصالح المسلمين بعد نحو (٧٢) عامًا من التمزق والتشرذم السياسي والمذهبي الذي أورد المسلمين موارد الهلاك ومكن الغازي الأجنبي على حسابهم.

نجده يقرر ما نصه:" بهذه الخطوة الكبرى قد تم ردم الهوة الدينية العميقة التي كانت تفصل منذ قرنين كاملين مسلمي مصر عن مسلمي سوريا، وكان لهذه الهوة في الواقع أثرها الكبير في نجاح الحملات الصليبية، ولم تعد سوريا الإسلامية وحدها هي التي تم توحيدها تحت قيادة الزعيم القوي نور الدين محمود وحسب، بل ها هي الآن مصر برمتها تنتقل إلى سيادة الأتابك الذي لا يقهر، وتبقى في يد قائده، وبذلك أمست دولة سوريا الفرنجية مطوقة من ثلاث جهات [٤]".

هكذا، أدرك ذلك المؤرخ أن مقتل المسلمين كان في فرقتهم، لكن الآن وجدت سياسات التوحيد وإنهاء الانقسام، ولذلك صارت أملاك الصليبيين مطوقة من ثلاث جهات، وبالتالي، كان إنجاز عام ١١٧١م، مقدمة حقيقية لما حدث عام ١١٨٧م، حيث انهارت مملكة بيت المقدس بعد ٩٠ عامًا تقريبًا من ميلادها.

من ناحية أخرى، أشار إلى قيام صلاح الدين الأيوبي بالسيطرة على أملاك نور الدين محمود [٥] عقب وفاته عام ١١٧٤م، وفي ذلك قال:" أما نور الدين محمود، فقد توفي في نفس الوقت تقريبًا دون أن يخلف من بعده تقريبًا سوى صبي قاصر، فما كان من صلاح الدين إلا أن قام بانتزاع الولايات من هذا الصبي، دمشق أولًا عام ١١٧٤م، ثم حلب عام ١١٨٣م". [٦]

واقع الأمر، لا يفهم من هذا الايجاز أن السنوات الفاصلة بين عامي ١١٧٤، ١١٨٣م مرت في يسر وسهولة، بل كانت عامرة بالنشاط العسكري والسياسي وكانت مقدمة حقيقية لإنجاز عام ١١٨٧م الحاسم في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب عصر الحروب الصليبية.

علق رينيه جروسيه على توحيد صلاح الدين مصر والشام تحت قيادته من خلال قوله:" من خلال هذه المجريات كلها، ترتب ما يعود بأكبر الوبال على الفرنجة، فما أن توحدت سوريا الإسلامية ومصر تحت قيادة رجل كصلاح الدين – الذي يعتبر لذلك واحدًا من أعظم الرجال في تاريخ آسيا– حتى وجدت الدول الفرنجية نفسها ليست مطوقة فحسب، بل وفي حالة متداركة من الضعف الدائم، لقد كان تفوق هذه الدول من قبل، كما بينا سابقًاعائدًا بدرجة كبيرة إلى تشتت العالم الإسلامي، ولكن منذ اليوم الذي أضحي فيه العالم الإسلامي موحدًا سياسيًا، من مساقط النيل إلى الفرات، غدت أيام الشرق اللاتيني معدودة ومحكومة بالفناء " (٧).

واقع الأمر، أتصور أن أهم ما في هذه العبارة تلميح ذلك المؤرخ الفرنسي إلى أهمية أنهار المنطقة وثرواتها الطبيعية وكثافاتها السكانية في دائرة الصراع الإسلامي – الصليبي، والأمر المؤكد أن هناك ثلاثة أنهار هزمت الصليبيين هي: النيل، والفرات، والعاصي(٨) خاصة من خلال وقوع مدن كبرى عليها، في صورة القاهرة،وحماه، حمص، والموصل وهي مدن امتازت بكثافات سكانية ملحوظة لها شأنها، كما وقعت على خطوط التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وفي مقدرونا القول: إن الصراع كان بين مدن الساحل الشامي التي أخضعها الصليبيون لسيطرتهم على نحو كامل من عام ١٠٩٨ إلى ١١٥٣م، لكن المدن الداخلية النهرية استعصت عليهم، ومن تلك المدن ظهرت حركة الجهاد الإسلامي بدءًا من الموصل مرورًا بحلب ثم دمشق وأخيرًا القاهرة. لا نغفل كذلك ملاحظة أن عجز الصليبيين عن إخضاعها من عوامل إخفاق المشروع الصليبي، لذلك فهم نجحوا آسيويًا في جانب من الجوانب وفشلوا إفريقيًا أما فيما يتصل بالمرحلة الواقعة بين وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م، ومعركة حطين ١١٨٧م، فقد حرص على إبراز انتصارات الصليبيين خاصة في عهد الملك بلدوين الرابع Bladwin IV (١١٧٤–١١٨٥م)، وفي ذلك أورد ما نصه:" رغم مرضه العضال ساهم بودان الرابع شخصيًّا بدور فعال في الصراع ضد

صلاح الدين حتى إنه أحرز عليه بين تل الجزر مونجيزار (Montgisard)، وتل الصافية، بلانش غارده (Blanch-Garde) واحدًا من أزهى انتصارات الصليبيين (٢٥ نوفمبر ١١٧٧م)" [٩].

واقع الأمر، يعد انتصار الصليبيين على صلاح الدين في المعركة المذكورة محدودًا ولم يؤد إلى تغيير خريطة المنطقة على مستوى قوى الجغرافيا السياسية.

لقد أفاد صلاح الدين الأيوبي من ذلك الدرس القاسي الذي وصفه مؤرخ سيرته بهاء الدين بن شداد " بكسرة الرملة "، في تدعيم عناصر الكشافة، وكذلك في إقامة قلاع في منطقة وسط سيناء حتى يمكن الانسحاب بقواته عند الانسحاب إليها، كذلك أدرك أن مهاجمة الصليبيين تكون من الشمال وليس من الجنوب؛ نظرًا لوجود صحراء شبه جزيرة سيناء [١٠] ذات الطبيعة المكشوفة من جانب الصليبيين.

ألفت نظر القارئ هنا إلى أن رينيه جروسيه قد سار على نفس توجه وليم الصوري عندما اعتقد أن بلدوين الرابع شارك شخصيًّا في المعركة المذكورة، وهو أمر يخالف الواقع؛ إذ إن مرضه أعاقه من الاشتراك فيها على حين اشترك في أحداثها الفارس الفرنسي رينو دي شاتيون Renault de Chatillon (١١٧٧-١١٨٧م).

كما أشار إلى قيام ذلك الفارس المتعصب بشن بحملته على الحجاز، وقد أدرك أنه بالتالي قدم عونًا معنويًّا غير مسبوق لصلاح الدين الأيوبي بفضل حماقته، وقد ذكر ما نصه:" ألهب رينو مشاعر الأمة الإسلامية من جديد، عندما دفع نحو البحر الأحمر بأسطول مضي يتهدد مدن الإسلام المقدسة: مكة والمدينة (شتاء ١١٨٢- ١١٨٣م)، وهذا يعد انتهاكًا ما بعده انتهاك لأقدس حرمات المسلمين " [١١].

استشاط صلاح الدين غضبًا، وأقبل يحاصر قلعة الكرك التي لم ينجيها من سطوته سوى التدخل البطولي لبودان الرابع (٤ ديسمبر ١١٨٧م)"[١٢].

واقع الأمر، قدم ذلك الفارس الصليبي المتعصب الذي تحرك مندفعًا من خلال عقدة الأسر في سجون المسلمين،حيث ظل هناك نحو (١٦) عامًا، قدم لصلاح الدين فرصة ذهبية من خلال جهاز إعلامه المتميز للقول بأنه حامي الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفيما يتصل بمعركة حطين التي جرت وقائعها في ٤ يوليو ١١٨٧م؛ نجد رينيه جروسيه يحدد مسؤوليتها لدى الجانب الصليبي من خلال الملك جي دي لوزينان، ورينو دي شاتيون، ومقدم الداوية جيرارد دي ريد فورد Gérard de Rid Ford الذين خالفوا نصيحة الأمير الصليبي ريموند الثالث Raymond III حاكم إمارة طرابلس الصليبية (١١٥٤-١١٨٧م) وفي ذلك أورد ما نصه:" إن الملك قبل، منصاعًا للآراء الخائبة التي قدمها رينو دي شاتيون، وسيد فرسان الهيكل جيرارد دي ريد فورد، ورغم النصائح التحذيرية التي أعطاها إياها ريموند الثالث كونت طرابلس، لم يتوان عن الدخول في المعركة تحت أسوأ الظروف عند حطين بالقرب من طبرية وكان بالتالي مصيبة الجيش الفرنجي برمته، فيما عدا استثناءات طفيفة، القتل أو الأسر حتى أن الملك جي نفسه كان من بين أسرى تلك المعركة الهائلة (٤ يوليو ١١٨٧م) [١٤].

يلاحظ أن المؤرخ الفرنسي المذكور،حرص على أن يوضح أن سبب الهزيمة يتمثل في عدم استماع قيادات صليبية لنصيحة ريموند الثالث، وهو يقصد بذلك أن ينتظر الصليبيون صلاح الدين عند عين صفورية، لا أن يذهبوا إليه عند حطين، وهو في ذلك لا يظهر أدنى إشارة إلى كفاءة الجيش الأيوبي المدرب الذي تم تسليحه بكفاءة، وارتفعت روحه المعنوية، فأدى المهمة الموكلة له على أحسن تقدير،و تعمد إغفال العامل البشري الإسلامي أمر يخالف أبسط مبادئ الموضوعية التاريخية.

أما نتائج معركة حطين؛ فقد ذكرها من خلال قوله:" استمرت كارثة حطين في أثرها الانهيار الفوري والشامل لسورية الفرنجية، ولم يكن الاستيطان الفرنجي في الواقع

كما رأينا كبير الكثافة البتة، في حين انه في حطين تم قتل وأسر جميع طبقة الفرسان chevaliers قاطبة، ناهيك عن خيالة السر جندية الشعبية Les Sergents، وبعثت المستوطنات التي استنزفت طاقاتها البشرية تمامًا خاوية من المستوطنين.

لم يبق أمام صلاح الدين إذ ذاك سوى اقتناص المدن الفرنجية الواحدة تلو الأخرى بغارات قوية صاعقة، وحتى المدن الحصينة منها، مثل عكا (سقطت في ١٠ يوليو ١١٨٧م)، ويافا وبيروت (٦ أغسطس)، حتى أنه استطاع تحرير مدينة القدس نفسها على الرغم من أن قواته لم تستسلم إلا بعد مقاومة مشرفة في (٢أكتوبر ١١٨٧م) (١٥).

واقع الأمر، أصاب رينيه جروسيه الحقيقة؛ عندما أوضح أن من أسباب سقوط المراكز الصليبية فيما بعد معركة حطين، أنها صارت بلا مدافعين نتيجة سقوط عدد ضخم من القوات الصليبية بين قتيل وجريح وأسير، ولا نغفل كذلك عامل آخر، هو أن صيت صلاح الدين نفسه كفارس نبيل؛ إذ قدم وعدًا أبر به، جعل الكثيرين يفضلون الاستسلام خاصة أنه في هذه الحالة لن يسفك دماءهم، ولذلك يقال أن صلاح الدين فتح قلاعهم بفضل ما عرف عنه من التزام تام بالعهود التي قطعها على نفسه.

من ناحية أخرى، حظي صلاح الدين بتقدير ذلك المؤرخ الفرنسي، نظرًا لما أبداه من تسامح عقب فتحه لبيت المقدس، وفي ذلك قال:" لقد سمح صلاح الدين بأريحية كبيرة، تنم عن روح الفروسية العالية لسكان القدس والجلاء عنها بحرية وسلام، كما إنه رفض رفضًا قاطعًا تهديم كنيسة القبر المقدس" (١٦).

لا ريب في أن تسامح ذلك السلطان المتحضر بحضارة الإسلام شكل رسالة مفتوحة للغرب عابرة للقرون تدل على أن الإسلام كدين متسامح مع أصحاب الديانات الأخرى، وكانت تلك بمثابة الرسالة الرائعة في عصر خضبه الصليبيون المتعصبون بدماء المسلمين على مدى تاريخ وجودهم في بلاد الشام.

لا نغفل هنا ملاحظة أن دخول صلاح الدين وقواته بيت المقدس سلميًا قد منحه الخلود في التاريخ وأدى إلى انبهار الصليبيين به، وبالتالي نسجوا عنه أسطورة صاحبتهم عدة قرون حتى بعد عودتهم إلى أوروبا.

كذلك، في معرض حديثه عن نتائج معرك حطين التي وصفها بأنها " كارثة، أشار إلى ما نصه:" كانت مملكة القدس من جراء ذلك قد ضاعت تمامًا باستثناء موقع واحد فقط كما سنرى، هو مدينة صور، ومن كونتيسة طرابلس بكاملها لم ينج من الغزو سوى مدينة طرابلس نفسها مع طرطوس Tortose، وحصن الأكراد (١٧)، وأما إمارة انطاكية فلم يتبق منها سوى مدينة أنطاكية " (١٨).

لا ريب في أن تلك الفقرة التي أوردها رينيه جروسيه، تكشف لنا بجلاء عن تلك المعركة الفاصلة والحاسمة في تاريخ الحروب الصليبية؛ كانت بالفعل بمثابة الزلزال الذي هز أركان الكيان الصليبي الذي لم يملك شرعية الوجود أصلًا، والآن كانت لحظة الانهيار !!

لذلك من الممكن القول – بموضوعية – إن ما قبل حطين يختلف عما بعدها، فهي بالتالي نقطة فارقة في تاريخ الصراع الإسلامي – الصليبي.

من الملاحظ هنا أن ذلك المؤرخ الفرنسي يعلق أهمية كبري على دور الفرد في صنع حركة التاريخ، ولذلك وجدناه يركز على دور كونراد أوف مونتفرت Conrad of Montfort في الأحداث التي تلت معركة حطين، حيث قاد المقاومة الصليبية انطلاقا من مدينة صور الحصينة، وفي ذلك ذكر ما نصه:" قبيل الساعة التي كانت ملكة القدس تتفوق فيها في يوليو ١١٨٧م، كان زعيم صليبي حديث المجيء إلى الأرض المقدسة، هو المركيز البيموننى كونراد أوف مونتفرت Montfort Conrad of، قد نزل في صور ودافع عنها في وجه صلاح الدين، وبفضل هذا

الرجل القوي أضحي لصور الناجية من نكبة الاجتياح الكبرى، في الأيام القادمة دور المنطلق لإعادة الغزو الفرنجي من جديد [١٩].

الواقع، إن كونراد أوف مونتفرت لا يمكن إنكاره، وهو أمر أشار إليه أيضًا المؤرخ الإنجليزي إرنست باركر، إلا أنه بدون الصليبيين الذين التفوا حوله في تلك الظروف العصيبة التي مرت بالمملكة اللاتينية؛ ما كان من الممكن أن ينجز شيئًا، ويجعل من صور قاعدة لطلب النجدة من الغرب الأوروبي لمواجهة كارثة حطين التي حلت بالغرب الأوروبي.

زد على ذلك، تعرض رينيه جروسيه لدور ملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted(١١٨٩-١١٩٩م)، الذي قدم إلى المنطقة، وخلال ذلك أخضع جزيرة قبرص Cyprus ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز قبالة الساحل الشامي، وفي ذلك قال: " أما ريتشارد عندما جنحت به العواصف باتجاه شواطئ جزيرة قبرص، تعلل بسوء استقبال البيزنطيين له لانتزاع الجزيرة من أيديهم (٦مايو – ٦ يونيو ١١٩١م)" [٢٠].

لقد أدرك ذلك المؤرخ أهمية إخضاع جزيرة قبرص وسط كل كافة تلك الضربات المتلاحقة التي حلت بالصليبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وفي ذلك قال: " بذلك كانت أولى نتائج الحملة الصليبية الثالثة في الوقت الذي كانت فيه انتصارات صلاح الدين آخذه في تقليص سوريا الفرنجية إلى مجرد شريط ساحلي ضيق، هي أنها أضافت إلى رصيدها ملحقًا بشكل جزيرة، يمكن استعماله فما لو طمي الخطب كملجأ للصليبين، لقد طرأ غزو قبرص بالمصادفة، بيد إنها ستكون لها أهمية في المستقبل" [٢١].

واقع الأمر، إن اخضاع قبرص مثل إنجازًا مهمًا للصليبيين في ذلك الحين وفي المستقبل باعتبارها قاعدة إمداد وتموين لهم، كما إنها اعتبرت مركزًا يمكن

الانسحاب إليه بعد مغادرتهم لبلاد الشام وهو ما حدث فعليًا بعد عام ١٢٩١م، عندما سقطت آخر معاقلهم في صورة عكا.

ويقرر أحد كبار المؤرخين أنه لا مغالاة في القول أن دخول قبرص دائرة الحروب الصليبية عن طريق الفتح كان أهم ما نتج عن الحملة الصليبية الثالثة من نتائج، فالشرق اللاتيني الذي أراد له صلاح الدين أن يلقي به في البحر المتوسط، قُدر له أن يحيا مرة أخرى على شواطئ الجزيرة القبرصية (٢٢).

مع ذلك من الممكن معارضة ذلك المؤرخ في قوله إن إخضاعها من جانب ريتشارد كان مجرد مصادفة، والأرجح منطقيًا أن ذلك تم من خلال تخطيط محكم، من خلال إدراكنا لطبيعة العلاقات اللاتينية – البيزنطية، وجاء إخضاعها لمؤشر لتزايد على حجم الأطماع الغربية في أملاك بيزنطة، وهو أمر سيتزايد إلى أن يصل إلى غزو القسطنطينية نفسها عام ١٢٠٤م، ضمن أحداث ما عرف بالحملة الصليبية الرابعة. من ناحية أخرى، تعرض لأحداث الحملة الثالثة ومغادرة فيليب الثاني أغسطس لبلاد الشام وتفرد ريتشارد قلب الأسد بالقيادة، وفي ذلك ذكر ما نصه:" خلصت بذلك قيادة هذه الحملة الصليبية إلى ريتشارد قلب الأسد الذي انتصر على قوات صلاح الدين في أرسوف (٧ سبتمبر ١١٩١م) وفي يافا (أو في ٥ أغسطس ١١٩٢م)، وأعادت هذه الانتصارات الباهرة بشكل حاسم التفوق العسكري للفرنجة، ولكن لم تصل بهم إلى محاصرة القدس " (٢٣).

واقع الأمر، يظهر هنا تناقض ذلك المؤرخ الفرنسي الذي يبالغ تمامًا في حجم انتصارات أرسوف ويافا، وقد وصف ذلك الإنجاز بالحسم، ومع ذلك عاد يتناقض مع نفسه، عندما قرر حرفيًا، لكن دون أن تصل بهم إلى الشروع في محاصرة القدس، وهو أوضح دليل على أن تلك المعارك كانت محدودة وأبعد ما تكون عن الحسم؛ لأنها لو كانت – حاسمة – افتراضًا – لمكنت ريتشارد قلب الأسد من فتح القدس أو حتى حصارها وهو أمر لم يحدث !!.

هكذا، يتضح لنا أن ذلك المؤرخ الفرنسي يتنقل مع انتصارات الصليبيين المحدودة ويحاول جاهدًا أن يضخمها بأي وسيلة لمحاولة التعويض عن كارثة حطين وشتان بين لمعركة الحاسمة وبين معارك محدودة جزئية بلا نتائج فعلية على الأرض.

بصفة عامة، بعد كافة تلك المعارك الطاحنة بين المسلمين والصليبيين، كان لابد من طرق بوابة الدبلوماسية، وفي ذلك قال:" بعد هذه الحرب المرهقة، ركن ريتشارد إلى إجراء هدنة مع صلاح الدين تنص على التسوية السلمية (٣ سبتمبر ١١٩٢م)، واحتفظ الفرنجة بالساحل الفلسطيني الذي أعيد غزوه من جديد خلال الحملة الصليبية الثالثة من صور إلى يافا (بما فيه هاتان المدينتان)، أما المناطق الداخلية في ذلك القدس، فقد بقيت في يدي صلاح الدين، ولكن المسيحيين نالوا تصريحًا يخول لهم المجيء بحرية كحجاج إلى الأرض المقدسة، بذلك أفضت الحملة الصليبية الثالثة إلى حالة من التعايش بين المسيحيين والمسلمين مع الحفاظ المتبادل بين الطرفين على الحد الأدنى من التسامح الديني "[٢٤].

واقع الأمر، حرص ذلك المؤرخ الفرنسي الذي توفي عام ١٩٥٢م، وكانت هناك مستعمرات فرنسية في المناطق العربية خاصة الجزائر الشقيقة، حرص على أن يوضح أن عصر الحروب الصليبية قد شهد صورًا من العلاقات السلمية بين المسلمين والصليبيين، وهم الذين قدموا في الأصل من فرنسا، خاصة أن تلك الحروب تعرف على أنها تاريخ فرنسا شرقي البحر المتوسط Levant في العصور الوسطي، أما قوله حالة من التعايش بين المسيحيين والمسلمين مع الحفاظ المتبادل على الحد الأدنى من التسامح الديني فالأمر المؤكد أن الصليبيين لا يوصفوا بالتسامح وتاريخهم العمومي اتسم بالدموية، وإذا كان صلح الرملة عام ١١٩٢م، قد نتج عنه نوع من التداخل الاجتماعي بين الطرفين،إلا إن المشروع الصليبي ذاته بطبيعته العدوانية لم يؤد إلى نسيان المسلمين كون الصليبيين غزاة أجانب قدموا إلى المنطقة، وبالتالي كان التعايش معهم موقفًا اضطراريًّا ولم يستتب السلام بين الطرفين أبدًا إلى أن تم طردهم من بلاد

الشام عصر سلاطين المماليك عام ١٢٩١م بفتح عكا آخر معاقلهم الكبرى في بلاد الشام.

تلك كانت رؤية المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه لصلاح الدين الأيوبي، ومن الممكن الخروج ببعض الاستنتاجات التي تجمل على النحو التالي:

أولًا: حظي صلاح الدين بتقدير ذلك المؤرخ، ووصفه بأنه قائد عظيم، وهو أمر إيجابي يحسب له.

ثانيًا: حاول ذلك المؤرخ إبراز إمكانية التعايش بين المسلمين والصليبيين من خلال ما اسماه من التسامح المتبادل، وهو أمر يخالف الواقع، وفيما يتصل بصلاح الدين نفسه؛ نجد أن عدوه اللدود ريتشارد قلب الأسد، قام بارتكاب مذبحة مروعة بعد سقوط عكا في قبضة الغزاة عام ١١٩١م، بينما وجدنا فارس الإسلام النبيل يرسل إلى خصمه الإنجليزي عندما مرض في يافا، طبيبه الخاص وهو اليهودي موسي بن ميمون، مما دل على البون الشاسع بين الجانبين قيادات وشعوب من حيث الجانب الأخلاقي.

ذلك عرض لرؤية المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه.

middleeast.2017@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

الهوامش والمصادر والمراجع

(١) عن رينيه جروسيه انظر:

تقديم أحمد أبيش لترجمة كتاب الحروب الصليبية، صراع الشرق والغرب، ط. دمشق ٢٠٠٤م، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين الغربين المحدثين، ط. القاهرة ٢٠١٧م.

(٢) عن أسد الدين شيركوه انظر:

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، جـ٧، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص١٣٩-ص١٥٢، محمد زين العابدين الجعفري، أسد الدين شيركوه، حياته ودوره في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز عام ١٤١٥هـ، وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص٢٢-ص٣٨.

(٣) رينيه جروسيه، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وشرقي حوض البحر المتوسط، ت. أحمد أبيش، ط. أبو ظبي ٢٠١٤م، ص٦٢.

(٤) نفسه، نفس الصفحة.

(٥) عن نور الدين انظر:

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أميدروز،ط. بيروت ١٩٠٨م، مواضع متفرقة، ابن خلكان، وفيات الأعيان،جـ٥، ص١٤٨-ص ١٥١، ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، ط. بيروت ١٩٧١م.

H.Gibb, "The Carrer of Nur AL-Din ",in A.History of The Crusades, ed.K.setton ,Vol.I, William of Tyre ,Wesconson 1989,PP.513-532.

N. Elisseeff, Nur Al-Din un grand prince Musluman au Tamps des Crasides, 3Vols, Damas 1967.

(٦) حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، حركة الإفاقة والمجتمع الإسلامي في القرن السادس الهجري،ط. القاهرؤة ١٩٤٨م، حسين مؤنس، نور الدين محمود بن زنكي، (فجر الحروب الصليبية)، ط.جدة ١٩٤٨م، ليلى عبد الجواد، السلطان العادل نور الدين محمود، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، بسام العسلي، نور الدين القائد، ط. بيروت ١٩٨٨م، صلاح الدين المنجد، بيمارستان نور الدين، ط. دمشق ١٩٤٩م.

رينيه جروسيه، المرجع السابق، ص٦٣.

(٧) نفسه، نفس الصفحة.

(٨) عن تلك الأنهار انظر:

الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، جـ١، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص٢٥٧، سامر مخيمر، وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية الحقائق والبدائل، سلسلة عالم المعرفة،ط. الكويت ١٩٩٦م، ص٢٧، محمد مؤنس عوض، دور عنصر المياه في تاريخ الصليبين ببلاد الشام في المرحلة من ١٠٩٩ إلى ١١٨٧م / ٤٩٢- ٥٨٩هـ، ضمن كتاب، الحروب الصليبية،السياسة، المياه، العقيدة، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٦٩- ص ٨٩، كامل زهيري، التيل في خطر، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

(٩) رينيه جروسيه، المرجع السابق،ص٦٤.

(١٠) عن شبه جزيرة سيناء انظر:

نعوم شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافتيها،ط. القاهرة ١٩١٦م، أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطي، ط. القاهرة ١٩٧٧م، سامي صالح عبد المالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سيناء في العصر الأيوبي، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار –جامعة القاهرة عام ٢٠٠٣م.

J.Prawer ,Sinai and The Red sea in The Crusader policy ,Elath ,The Eighteenth Archaeological Convention ,Jerusalem 1973, PP.168-181(in Hebron).

(١١) رينيه جروسيه، المرجع السابق،ص٦٤.

(١٢) نفسه، نفس الصفحة.

(١٣) عن رايموند الثالث انظر:

William of Tyre , VOI.II,PP.288-291 ,M.Baldwin, Raylmond III of Tripoli and The Fall of Jerusalem (1154- 1187),Princeton 1936.

محمد مؤنس عوض، معجم أعلام عصر الحروب الصليبية في الشرق والغرب،ط. القاهرة ٢٠١٥م، ص٤٠٣.

(١٤) رينيه جروسيه، المرجع السابق،ص٦٥.

(١٥) نفسه، نفس الصفحة.

(١٦)نفسه، ص ٦٦.

(١٧)عن حصن الأكراد انظر:

J. Richard ,le conte de Tripoli Sous le Dynastie Toulousaine (1102-1182),Paris1945,P.2, Deschamps, les châteaux des Croisées, Crac

des chevaliers ,Paris 1934,Rihaoui,Le Crac des Chevaliers, guide Touristique et Archéologique, Domas 1945.

مرفت محمد سعيد،حصن الأكراد ودوره في الصراع الصليبي – الإسلامي (٥٨٩– ٦٩٨هـ /١١٩٣– ١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ١٩٩٢م، ر،سي، سمايل، الحروب الصليبية، ت. سامي هاشم،ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٢٥٧، عبد العزيز عبد الدايم، إمارة طرابلس القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص٤١، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام، زمن الحروب الصليبية،ط. القاهرة ١٩٩٥م،ص١٤٩، مصطفي طلاس ومحمد وليد الجلاد، قلعة الحصن، حصن الأكراد، ط. دمشق ١٩٩٠م.

(١٨) رينيه جروسيه، المرجع السابق، ص٦٦.

(١٩) نفسه، نفس الصفحة.

(٢٠) نفسه، ص٦٧.

(٢١) نفسه، نفس الصفحة.

(٢٢) سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٩١.

(٢٣) رينيه جروسيه، المرجع السابق، ص٦٨.

(٢٤) نفسه، جـ نفس الصفحة.

middle-east2017@hotmail.com
مركز بحوث الشرق الأوسط
M.E.R.C
ISSN 2536-9504